﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ١٠٨﴾ [هود: 108]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

تتمَّةٌ للتَّقسيم واكتمالٌ للتَّفصيل

هذه الآيةُ متَّصلةٌ بسابِقَتِها التي ذَكَرَتْ أهلَ الشَّقاءِ وما آلَ إليه مَصيرُهُم وبيَّنَتْ حالَهُم، والتَّرغيبَ بالإيمانِ وطاعَةِ الله ليَصيرَ المُؤمنُ الطّائعُ مَعَ السُّعَداءِ الذينَ يَتَمَتَّعونَ بالجَنَّةِ فتكون مُستقرَّهم ومُقامَهُم، فهي تتمَّةٌ للتَّقسيم، واكتمالٌ للتفصيل.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَجۡذُوذٖ﴾: "الجيمُ والذّالُ أصْلٌ واحِدٌ، إمّا كَسْرٌ وإمّا قَطْعٌ، يُقالُ جَذَذْتُ الشَّيْءَ كَسَرْتُهُ"[1] و﴿غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾: غير منقطع، وهو تصريح بأنَّ الثواب لا ينقطع، قال الرّاغب: "الجَذُّ: كسر الشيء وتفتيته، ويقال لحجارة الذهب المكسورة ولفتات الذهب: جذاذ"[2]، فالمجذوذُ: المقطوعُ، والجذمُ: جذمُ الشَّجرةِ حَيثُ تُقطَعُ من أصلِها، وأصلُه من الجَذم وهو القَطعُ فلا يُستعملُ الجَذم فيما لا يَصلُحُ قَطْعُه، فإنِ استُعملَ في بعضِ المَواضِعِ مَكانَ الأصلِ فعلى التَشبيهِ، والقَطعُ يكونُ ظاهِرًا وخافيًا كالقَطعِ في الشَّيءِ الملزق المموّهِ، ويُقالُ: قَطَعَهُ في المُناظَرَةِ لأنَّه قَد يَكونُ ذلِكَ من غَيرِ أنْ يَظهَرَ ومن غَيرِ أنْ يقطعَ شغبه وخُصومتَه[3]. ومراد المفردة في الآيةِ أن النَّعيم متصلٌ لا ينقطع.

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (جذَّ).
(2) الرّاغب، المفردات: (جذَّ).
(3) العسكريّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 158، 170.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

حال السعداء وخلودهم في عطاءٍ متَّصل

بيَّنَ ﷻ في هَذِه الآيةِ حُسنَ عاقِبَةِ السُّعداء فقالَ ﷻ: ﴿*وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ﴾ أي: في الآخرةِ بسببِ إيمانِهم وتَقواهُم في الدُّنيا، ﴿فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ أي: عَطاءً لهؤلاءِ السُّعداء غيرَ مقطوعٍ عَنهُم، وعلى هذا يَستَبينُ لنا تَفصيلُه ﷻ لِأحوالِ هَذَين النَّوعينِ من النّاسِ السَّعيد منهُم والشَّقيّ تفصيلًا بيِّنًا يدعو كُلَّ ذي لُبٍّ إلى نَهْجِ مَناهِجِ السُّعداءِ، ومُجانَبَة المعوَّجِ من منهَجِ الأشقياءِ.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

علَّة الفصلِ:

باكتمالِ التَّقسيم تنشرحُ الصُّدورُ

عُطِفَتْ هَذِه الجُملَةُ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ﴾ من الآيَةِ الكَريمَةِ على قَولِهِ تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ﴾ فجاءتْ بَيانًا لِحالِ الفَريقِ الثاني وهُم أهلُ السَّعادَةِ، وما أعَدَّه اللّه تعالى لهُم من النَّعيم الدّائِم، وعُطِفَت على سابِقَتِها لِمُشارَكَتِها لها في الخَبَريَّة والحُكْم الإعرابيّ ووجودِ الجِهَةِ الجامعَةِ بَينَهُما.

توجيه القراءات القرآنية:

السَّعيد مَن أسعده مولاه بتوفيقِه للخير

"قرأ حفصٌ وحمزة والكسائي وخَلَفٌ بضَمِّ السّين بالبِناءِ لِلمَفعولِ من سَعده اللّه بمَعنَى أسعَدَهُ، وافَقَهُم الأعمَشُ، والباقونَ مبنيًّا لِلفاعِلِ من اللازِم"[1].

قال الطّاهر بن عاشور: من قرأ "بِضَمِّ السّين على أنَّهُ مَبْنيٌّ لِلنّائِب، وإنْ كانَ أصْلُ فِعْلِهِ قاصِرًا لا مَفْعولَ لهُ لكِنَّهُ على مُعامَلَةِ القاصِرِ مُعامَلَةَ المُتَعَدّي في مَعْنَى فُعِلَ بِهِ ما صَيَّرَهُ صاحِبَ ذلك الفِعْلِ، كَقولِهِمْ: جُنَّ فُلانٌ، إذا فُعِلَ بِهِ ما صارَ بِهِ ذا جُنونٍ فـ

(1) البنّا، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ص: 311.

﴿سُعِدُواْ﴾ بمَعْنَى أُسْعِدوا، وقيلَ: سَعِدَ مُتَعَدٍّ في لُغَةِ هُذَيْلٍ وتَميم، يَقولونَ: سَعِدَهُ اللّه بمَعْنَى أسْعَدَهُ، وخَرَجَ أيْضًا على أنَّ أصْلَهُ أُسْعِدوا، فحُذِفَ هَمْزُ الزّيادَةِ كَما قالوا مَجْنوبٌ (بِموحَّدَةٍ في آخِرِهِ)، ومِنْهُ قَوْلُهُمْ: رجل مَسْعود"[1].

بلاغةُ الكنايةِ:

قـــرار في دار النَّعيم، أنْعِم به من قرار

التَّعبيرُ بحرف الظَّرفيَّة في قَولِهِ: ﴿فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ مُقترِنًا بالفاءِ الدّاخِلَةِ عَلَيهِ أكَّدتِ استِقرارَ هَؤلاءِ السُّعَداءِ في الجَنَّة التي صارَت مَحَلًّا مَعْلومًا لهُم لا يُفارِقونَها ولا تُفارِقُهُم حَتَّى صارَت أمرًا مَقطوعًا بِهِ مَعلومًا من الدّينِ بالضَرورَةِ، والأسلوبُ كِنايَةٌ عَن صِفَةِ الاستقرارِ مَعَ عِظَمِ المُستقرّينَ فيها، والتَّعبيرُ باسم الفاعِلِ لِلدَّلالَةِ على الثُّبوتِ والاستمرارِ في الجَنَّةِ من بابِ المُلازَمَةِ الفِعليَّةِ، والتَّعبيرُ بالجارِّ والمَجرورِ مُكرَّرًا ﴿فِيهَا﴾ مُبالَغَة في الاستقرارِ والتَّمكُّنِ فيها تَمَكُّن الظَّرفِ من المظروفِ، فهُم مُستَقرّونَ في الجَنَّة مُنَعَّمونَ فيها لا في غَيرِها، فأنْعِم بها من مُستَقرٍّ ونُزُلٍ ومُقامٍ.

نكتةُ التَّكرارِ:

نعيمُ الجنَّةِ لا يحول وسعادةٌ لا تزولُ

أُعيدتْ هذِهِ العِبارَةُ ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ مَعَ خُلودِ أهلِ الجَنَّة فيها، وجاءَ التَّعبيرُ بدَوام السَّماواتِ والأرضِ على ما جَرَت بِهِ عادَةُ العَرَبِ في إرادَةِ التَّأبيدِ بلا آخر بمثلِ هذا، وإذا كانَ أهلُ النّارِ خالِدينَ في عَذابِها دائمينَ في سَمومها وزَقّومها مَعَ دَوام السَّماواتِ والأرضِ ففي المُقابِلِ يُنَعَّمُ أهْلُ الجَنَّة دَوامًا سَرمَديًّا في نَعيمٍ لا يَزولُ ولا يَحولُ بدَوام السَّماوات والأرضِ، وهي كِنايَةٌ عَنْ صِفَةِ الدَّوام والاستقرارِ الذي لا يَنقَطِعُ، وقيلَ: المُرادُ ما دامَتْ سَمَواتُ الجَنَّة وأرضُها حَسبَ مشيئَتِهِ تعالى وقَد شاءَ لهُم الخُلودَ والدَّوامَ.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/166.

بلاغةُ الاستثناء:

التَّحذير من الاغترار بالطّاعة

وأمّا الاِسْتِثْناءُ الثّاني ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ الواقِعُ في جانِبِ الذينَ سُعِدوا فيَحْتَملُ مَعْنَيَيْنِ: أحَدُهُما أنْ يُرادَ: إلّا ما شاءَ رَبُّكَ في أوَّلِ أزْمنَةِ القيامَةِ، وهيَ المُدَّةُ التي يَدْخُلُ فيها عُصاةُ المُؤْمنينَ غَيْرُ التّائِبينَ في العَذابِ إلى أنْ يَعْفو اللّه عَنْهُم بفَضْلِهِ بدونِ شَفاعَةٍ، أو بشَفاعَةٍ، ويُحْتَمَلُ أنْ يُقْصَدَ منْهُ التَّحْذيرُ منْ تَوهُّم اسْتِحْقاقِ أحَدٍ ذلك النَّعيمَ حَقًّا على اللّه، بَلْ هو مَظْهَرٌ منْ مَظاهِرِ الفَضْلِ والرَّحْمَةِ، ولَيْسَ يَلْزَمُ منَ الاِسْتِثْناءِ المُعَلَّقِ على المَشيئَةِ وُقوعُ المَشيئَةِ بَلْ إنَّما يَقْتَضي أنَّها لوْ تَعَلَّقَتِ المَشيئَةُ لوقَعَ المُسْتَثْنَى، وقَدْ دَلَّتِ الوُعودُ الإلَهيَّةُ على أنَّ اللّه لا يَشاءُ إخْراجَ أهْلِ الجَنَّةِ منْها، وأيًّا ما كانَ فهُم إذا أُدْخِلوا الجَنَّةَ كانوا خالِدينَ فيها فلا يَنْقَطِعُ عَنْهُم نَعيمُها[1].

سرُّ تنكيرِ ﴿عَطَآءً﴾:

عطاءُ الله تعالى لا يُـدرِكُ كُـنهَهُ وقَـدْرَهُ إلّا هو سبحانه

وردتْ كلمةُ ﴿عَطَآءً﴾ منصوبةً على المصدرِ المؤكِّدِ من مَعنَى الجُملةِ قَبلَه، لأنَّ قَولَه تعالى: ﴿فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ يَقتَضي إعطاءً وإنعامًا و﴿غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ صفة لعطاء، أو ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ يعطون أو يُمنحون عطاءً غير مقطوع، ومجيء ﴿عَطَآءً﴾ نكرة لتعظيم أمرِ هذا العَطاءِ وتفخيم شَأنِه، والمرادُ: عطاء لا يُدرِكُ كُنهَهُ وقَدْرَهُ إلّا اللّه تعالى يتناسبُ معَ من يُعطَوه، وهم أهلُ الجنَّةِ الجديرونَ المستحقّونَ لهُ.

نكتةُ التَّعبير بالنَّفي دون الإثبات:

عطاءُ الله مُمتدٌّ إلى ما لا نِهايَة

التَّعبيرُ باسم المفعولِ المقترنِ بأداةِ الاستثناءِ الدّالّة على النَّفي ﴿غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ يَدُلُّ على الثُّبوتِ والدَّوام، والمرادُ: غير مقطوعٍ، فهو مُمتدٌّ إلى ما لا نِهايَة وهذا أبلَغُ في الدِّلالَةِ من أن يُقال: (عطاءً متّصلًا)، إذ إنّ اتصال العطاء لا يمنع انقطاعه وقتًا ما، ووصفه بنفي الانقطاع صريح في عدم انقطاعه ولو يسيرًا.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 12/165.

إيثار لفظ ﴿مَجۡذُوذٖ﴾ دون لفظ مقطوع:

طمأنةُ أهلِ الجنَّة زيادَةُ نعيمٍ فوق نعيمهم

التَّعبيرُ بقولِه تعالى: ﴿غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ أبلغُ من قَولِنا: (مَقطوع) إذ المُرادُ منهُ: "لا مقطوعٌ ولا مكسورٌ ولا مفصولٌ لِعطاءٍ من الأعطيةِ ولا مفرق ولا مستهانٌ بهِ: لأنَّهُم لو انفكّوا من النَّعيم حقيقةً أو مَعنى ولَو لحظَة لكانَ مقطوعًا أو منقوصًا، وفي الخَتم بذَلِك من الجَزم بالدَّوام طمأنينةٌ لأهلِ الجنَّة زيادَة في نعيمهم عَكس ما كانَ لأهلِ النّار"[1].

براعةُ التَّقابلِ:

كثرةُ اللَّطائف البلاغيَّة ارتكازٌ في النَّفس البشريةِ

بَينَ قَولِهِ تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ﴾ وبين قوله: ﴿*وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ ألوانٌ من البديع، سبق تفصيلها، وهي موجزةٌ هنا، ففيها لفٌّ ونشرٌ مُرتَّب يُناسِبُ ﴿فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ﴾، وبين الآيتين جَمْعٌ وتَقسيمٌ، أمّا الجمعُ ففي قَولِه: ﴿فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ﴾ وأمّا التقسيمُ ففي قَولِهِ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ﴾ وقوله: ﴿*وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ﴾، والمراد بالجمع: أنْ يجمعَ بين متعدِّدٍ في حكمٍ واحدٍ، والتقسيمُ: أن يُذكرَ متعدِّدٌ ثم يضاف إلى كلٍّ منها ما هو له، وبين الآيتين مقابلة لطيفة حيث قوبل بين ﴿شَقُواْ﴾ و﴿سُعِدُواْ﴾، وبين ﴿ٱلنَّارِ﴾ و﴿ٱلۡجَنَّةِ﴾، والمقابلةُ من الأمورِ الفطريَّة المركوزة في الطِّباع وهي قادرةٌ على جَعْلِ كِلا الأمرَينِ ماثلَينِ أمامَ السّامعِ فبيَّنت طريقَ الشَّقاءِ ومَآله وطَريقَ السَّعادَةِ ومآلهُ من النَّعيم؛ فيَعقِدُ المَرءُ مُقارَنَةً بينَ الطَّريقين ويختارُ أصوبَهُما، وهذا فِعْلُ المقابلةِ إلى جانبِ ما تُضفيهِ على النَّظم من قوَّةٍ ودِقَّةٍ في التَّصويرِ والإبانَةِ عَن المُرادِ منها.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 9/385.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

المجذوذ والمقطوع:

المجذوذ أخصّ من المقطوع

المجذوذ من (جذّ) بمعنى كَسَر الصُلْب أو قَطع الشديد الغليظ[1]، والمقطوع من القَطْع: فصل الشيء مدركًا بالبصر كالأجسام، أو مدركًا بالبصيرة كالأشياء المعقولة، فمن ذلك قَطْعُ الأعضاء، وقَطْعُ الثّوب، ومنه قَطْعُ الطَّريقِ السّير والسّلوك وإمّا لغَصْب المارَّة والسّالكين فيه، وقطع الوصل هو هجرانه، ومنه قطع الرَّحم بهجرها ومنع برِّها ومقاطع الأودية مآخيرها"[2].

فاصطفاء عبارة ﴿غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ تشير إلى امتداد العطاء امتدادًا قويًّا، غير متناهٍ، لا يُعرف له نظير، ولم يُر له مثيل.

(1) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (جذذ).
(2) الرّاغب، المفردات: (قطع).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 21 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك :978-9948-768-18-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 21 : المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي :978-9948-768-18-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725944 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»